المعجم المختص في التراث العربي(قراءة في المادة والمنهج)

د. علي توفيق الحمد

قسم اللغة العربية / جامعة اليرموك/إربد /الأردن

الملخص

فاق العرب القدماء جميع الأمم في التأليف المعجمي ، وعرفوا نوعين من المعاجم ، وهما : معاجم الألفاظ ،ومعاجم المعاني ،إضافة إلى كتب الموضوعات الخاصة . فقد خلفوا مؤلفات كثيرة ، كل واحد منها متخصص بموضوع واحد معين ،ككتاب البئر ،والشاء ،والسلاح ، والإبل ، والمطر،والنبات ،والخيل وغيرها .كما ألفوا كتبا موسوعية تناول كل منها معارف متنوعة مختلفة واسعة، مثل : كتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب حياة الحيوان للدميري .

ويتناول البحث الأنواع الثلاثة من التأليف المعجمي بالعرض والتحليل، من ناحية المنهج ، ومن ناحية المحتوى ؛ لتعرفهما، وللإفادة منهما في جهودنا المعجمية والعلمية والمصطلحية الحديثة.

وختم البحث بأهمية تلك المؤلفات لوضع معاجم متخصصة حديثة تتناول فروع العلوم والمعارف المختلفة؛ للإسهام في نهضة علمية عربية معاصرة.

Abstract

The Arab led all nations in Lexicon writings. They knew two kinds of dictionaries: dictionaries of words, and dictionaries of meanings, in addition to the books of special subjects. They left a lot of writings, each was specialized in one specific subject, such as the Book of Well, the Sheep, the Weapons, the Camels, the Rain, the Plants, and the Horses, etc…

They wrote encyclopedias, each talks about different and wide knowledge, such as Al-Jahiz's book, Al-Hayawan, and Al-Dumairy's book, (the life of animal). This paper studies these three kinds of lexicons. It also presents and analyzes the method and the content.

The paper concludes by showing the importance of these old writings, for composing new specialized dictionaries, which cover the different fields of knowledge and sciences; to contribute in a new Arabic scientific progress.

بسم الله الرحمن الرحيم

(1)

لما كان المعجم كتابا لغويا يجمع قدرا كبيرا من كلمات لغة ما، على ترتيب معين، يوضح كلا منها بشرحها وبيان معناها، على منهج وترتيب معينين يرتضيهما مؤلفه، وفق الغرض الذي أراد لمعجمه، لما كان المعجم- بشكل عام- كذلك، فإن المعاجم العربية المتخصصة القديمة منها والحديثة توافق هذا المفهوم العلمي المعاصر للمعاجم، علاوة على قصرها على فرع واحد من فروع المعرفة، بشرح مفرداته ومصطلحاته. وغني عن البيان أن العرب خلفوا ثروة هائلة من المعجمات بشكل عام إذ أدركوا الحاجة إليها، فوضعوا أنواعا مختلفة من المعاجم، منها المعاجم اللغوية العامة، للألفاظ وللمعاني، ومنها المعاجم المتخصصة، التي قصرها أصحابها على باب واحد أو فن واحد من المعارف. ولما كانت العلوم اللغوية كلها قد ظهرت لخدمة الدين الإسلامي، وفهمه واستنباط أحكامه، فقد كانت المعاجم ممثلة لهذه البداية تمثيلا صادقا، ولعل من البذور الأولى للمعجمة التي وصلت إلينا سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حول مفردات وألفاظ غريبة وردت في القران الكريم. ثم تطور التأليف المعجمي، وكان جله يدور أولا حول شرح غريب القران الكريم، وشرح غريب الحديث النبوي الشريف، ثم تناول العلماء اللغويون التراث العربي الشعري بالشرح والبيان، كشروح المعلقات، وشروح النقائض وغيرها.

وبعد هذه المرحلة المبكرة وخلالها، بدأ اللغويون بوضع الرسائل الصغيرة التي اهتمت بالنادر والغريب من كلام العرب. ووضعوا الرسائل في مواضيع علمية ومعرفية خاصة، كالخيل والسلاح والبئر والإبل، والنخل والإنسان والحشرات، والعشب والبقل، والسحاب والأنواء، والحيوان والنبات وغير ذلك. وقد يظن بعض الدراسين أن حركة تأليف المعاجم اللغوية المتخصصة في مجالات العلوم والفنون المختلفة هي من نتاج عصر النهضة الحديثة، كمعجم الحيوان، والمعجم الفلكي، ومعجم الألفاظ الزراعية، والمعجم الطبي وغيرها، لكن الواقع أنها" وليدة جمع وتحصيل لجهود سابقة، واستخلاص من مكاسب وثروات محققة، وتتويج لحركات فكرية متلاحقة" [1]. ولعل نظرة في تراث العرب المعجمي تؤكد لنا صحة المقولة السابقة، فقد ترك لنا العلماء العرب في عصور مبكرة مجموعة كبيرة من تلك الرسائل، وبدأت الجهود منذ بدايات القرن الثاني الهجري فقد ذكرت لنا كتب التراجم أولى الرسائل اللغوية، منها:

النوادر لأبي مالك عمرو بن كركرة الأعرابي [2] ورسالة الحشرات لأبي خيرة الأعرابي العدوي [3] وكتاب النوادر لأبي عمرو بن العلاء [4] وكتب كثيرة أخرى للغويين لاحقين .

وقد يكون من المفيد تحديد مفهوم المعجم المختص في الدراسات اللسانية و المعجمية الحديثة فنقول : إنها تكاد تجمع على أن المعجم المختص (المتخصص) "**يعالج قسماً واحداً من المفردات ويختص بأحد فروع المعرفة** ،.. وهدفه مساعدة القارىء على معرفة معاني لغة حقل معيّن من حقول المعرقة ومصطلحاته مثل ذلك معجم حتيّ للمصطلحات الطبية (إنجليزي عربي) ،ومعجم الشهابي للمصطلحات الزراعية، و المعجمات التي ينشرها تباعاً مكتب تنسيق التعريب بالرباط [5] وبعض المعاجم التي تصدرها المجامع اللغوية. فالمعاجم المتخصصة تتضمن قواميس المصطلحات المستعملة في فروع المعرفة المختلفة ، كالمصطلحات المستعملة في البيولوجيا و العلوم الطبيعية و الرياضية و التربوية وغيرها وتشرح هذه القواميس تلك المصطلحات شرحاً علمياً وافياً [6] وقد تكون هذه المعاجم المتخصصة الحديثة أحادية اللغة أو ثنائيتها أو متعدّدتها.

ولو طبقنا مفهوم المعجم المتخصص الحديث على التراث المعجمي العربي القديم لأمكن أن يشمل مفهومه كتب الموضوعات اللغوية كالنوادر والأضداد و الغريب وشروح غريب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ورسائل الموضوعات المعرفية التي تتناول الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الظواهر المعرفية الأخرى .وقد عرضت الباحثة يسرى عبد الغني عبد الله للمعاجم المتخصصة أو معاجم الموضوع الواحد ــ كما أطلقت عليها ــ في باب خاص من كتابها [7] ، بعد أن خصّصت قسمين خاصين لدراسة المعاجم القرآنية ومعاجم الحديث الشريف . ونوافقها في حقيقة توصلت إليها وهي :" أن اللغويين العرب في العصور الوسطى كانوا يجدون أهمية وأهدافاً لهذا التأليف المتخصص جدّاً ربّما لا تغني عنه القواميس الشاملة ... ولهذا فسوف نعتبره فرعاً من فروع التأليف المعجمي يضاف إلى معاجم الألفاظ ، ومعاجم المعاني، وهو ــ هذا الفرع ــ و إن كانت له قرابة بهذا النوع الأخير فانه ما يزال متميزاً عنها مما يستوجب عرضه على حدة " [8] .

وذكر الدكتور أمين محمد فاخر نوعين من المعاجم هما : معاجم الألفاظ ،ومعاجم المعاني هذه التي قال إنها "نوع آخر يهدف إلى جمع الألفاظ الموضوعة لمختلف المعاني... ويطلق على هذا النوع بعض الباحثين : المعاجم المبوّبة، أو معاجم المعاني ،أو معاجم الموضوعات "[9].

وعدّ من ابرز المؤلفات من هذا النوع كتاب " الغريب المصنف" لأبي عبيد، والألفاظ الكتابية للهمذاني، ويمكن عدهما من المعاجم المتخصصة-،والمخصص" لابن سيده [10].

(2)

ولما كان الكتاب-أي كتاب- عبارة عن مادة ومنهج، والمعاجم المتخصصة العربية القديمة كتب قامت على هذين الأساسين، فمن المفيد والمهم في آن واحد، أن نعرض هذين الأساسين (المنهج والمادة) في تلك المعاجم، لعلنا نفيد من تلك المعاجم افادات محددة وواضحة، في وضع المعجم العربي المتخصص الحديث على هذين المستويين.

ونعني بالمنهج هنا: طريقة عرض المعاجم المتخصصة القديمة للمعلومات والشروح، أو الألفاظ والمصطلحات ومعانيها و مفاهيمها، وترتيب موادها خارجيا وداخليا.

أما المادة: فتعني ما في المعجم المتخصص القديم من ألفاظ ومصطلحات، ومعلومات وشروح وتفسير، ومرادفات وشواهد لغوية، ولغات جائزة في تلك المفردات والمصطلحات واردة عن قبائل العرب، تعكس علمهم ومعارفهم في الحقل المتخصص موضوع المعجم، وهذا يفيدنا في التعرف على الذهنية الحضارية العربية القديمة في تلك العصور، وعلاقتها- تأثرا وتأثيرا- بالحضارات السابقة والمعاصر لها، ثم مكانتها في ميزان الحضارة العالمية القديمة والحديثة.

وسيكون العرض هنا موجزا مركزا، موردا نماذج من تلك المؤلفات القديمة على هذين المستويين.

فمن حيث المنهج وطريقة التأليف [11] في المعاجم المتخصصة القديمة، نجد منها ما اعتمد طريقة موسوعية بحشد معلومات معرفية ضافية عن كل باب أو مصطلح أو لفظ أو موضوع، حتى يصبح الكتاب مَعْلَمة في ذلك الموضوع، ككتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري بشكل أقل، وكتاب الأنواء لابن قتيبة، وكتاب المطر والسحاب لابن دريد، ولكن بصورة أقل تفصيلا، ومختلفة نوعا ما. **ومنها ما اعتمد طريقة اقتصرت على إيراد المصطلح ودلالته ومفهومه** عند العرب آنذاك، وهذا المنهج اقرب إلى المنهج الحديث في وضع المعجم المتخصص، وإن كانت المعاجم القديمة لم تعن- بشكل عام – بترتيب المصطلحات هجائيا، بل جاءت ضمن أبواب موضوعية متجانسة في الغالب- ، كما في كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد، وكتاب البئر لابن الأعرابي وغيرهما.

وفي كلتا الطريقتين، كانت تلك المعاجم تعزز ما تورده بالشواهد الشعرية عن العرب، أو الشواهد القرآنية-قليلا-.

ونعد هذين الصنفين من المعجمات المتخصصة، لأنها حققت شروط المعجم بجمعها حشدا من الألفاظ اللغوية وشرحها وتفسيرها، وعززت ذلك بالشواهد، ورتبت كل ذلك ترتيبا معينا، وهذه شروط المعجم ومواصفاته.

أ- **فالكتب الموسوعية**،ككتاب الحيوان للجاحظ مثلا، أو " حياة الحيوان الكبرى " للدميري ، اتسمت مادتها بالسعة والاستطراد والاستقصاء، وهذا ما نلاحظه بشكل خاص في كتاب " الحيوان " للجاحظ ،فهو يعرض لوصف أجزاء الحيوان، وأعضائه وطباعه، وغذائه وحمله وولادته أو بيضه، ومدة الحمل، وفوائده ومضاره، وطرائف عنه، ونوادره وأخباره، ومعلومات شتى عنه ويوشي كل ذلك بما تناقله الرواة وأهل العلم والاختصاص عنه، ولا ينسى ملاحظاته الشخصية وخبراته وخبرات غيره وملاحظاتهم، ثم انه يسجل بعض الاستطرادات واللطائف اللغوية، ويشرح الألفاظ والمصطلحات الغريبة ويفسرها، وقد يستخدم ألفاظاً أعجمية دخيلة أو معربة، وربما أشار إلى عجمتها، ويحشد قدرا ليس قليلا من الشواهد الشعرية أو القرآنية أو الأمثال أدلة وحججا على ما يقول، مما يجعل حجم المعلومات عن الحيوان الواحد يتجاوز عشرات الصفحات في بعض الأحيان، وربما زاد على المئة أو المئتين [12]. وكلنا نعرف أن كتاب " الحيوان " للجاحظ مَعْلَمة علمية عن صنوف من الحيوان، إضافة إلى ما فيه من الفوائد اللغوية، إن على مستوى الصرف، وإن على مستوى الدلالة والمعجم، علاوة على الشواهد التي تعزز ما كان يذهب إليه المؤلف، فهو بهذه الخصائص- وغيرها كثير- استحق أن يطلق عليه وصف الموسوعة أو المَعْلَمة. وما أكثر الاستطرادات اللغوية في مَعْلَمة " الحيوان " ! وما أدقها ! وأفيدها على مستوى الدلالة والمعجم، أو التصريف ! ومن أمثلتها : " قال : ويقال: لسان طلق ذلق، ويقال للسليم إذا لدغ قد طلق، وذلك حين ترجع إليه نفسه، وهو قول النابغة:

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع " [13].

وفي استطراد لغوي آخر فيه تصحيح لغوي صرفي، وتنبيه دلالي معجمي، قوله في موضع آخر: " وقال أبو زيد: نهشت أنهش نهشا، والنهش: هو تناولك الشيء بفيك، فتمضغه فتؤثر فيه ولا تجرحه، وكذلك نهش الحية. وأما نهش السبع فتناوله من الدّابة بفيه، ثم يقطع ما أخذ منه فوه. ويقال: نهشت اللحم أنهشه نهشا، وهو انتزاع اللحم بالثنايا للأكل. ويقال نشطت العقد نشطا: إذا عقدته بأنشوطة. ونشطت الإبل تنشط نشطا: إذا ذهبت على هدى أو غير هدى، نزعا أو غير نزع. ونشطته الحية فهي تنشطه نشطا: وهو أن تعضه. ونكزته الحية تنكزه نكزاً: وهو طعنها الإنسان بأنفها. فالنكز من كل دابة سوى الحية العض، ويقال: نشطته شعوب نشطا،هي المنية. وتقول العرب: نشطته الشعوب، فتدخل عليها التعريف" [14]. فهذا النص من الاستطرادات اللغوية الكثيرة والمفيدة في كتاب الحيوان للجاحظ، يطلعنا على الأثر اللغوي للكتاب، من الناحية المعجمية، وعلى مستوى المعاجم المتخصصة بشكل خاص، وإنما أوردته على طوله كاملا، لنقف

على الفروق اللغوية التي لحظها الجاحظ وسجلها بين الكلمات المتقاربة المعاني، ولنقف على الترادف الخفيف بين بعضها إضافة إلى درجات المعاني والدلالات بين لفظة وأخرى،وكيف كان يعزز ما يذهب إليه بالشواهد اللغوية الجليلة الأثر والنفع. فذكر لنا العضَّ والنَّهش والنَّشْط والنّكز والطّعن. وعلام تطلق كل لفظة أو مصطلح وفيم تقال، وقد سجل لنا فروقا دقيقة مفيدة إضافة إلى أنه استند في الدلالات التي سجلها إلى السياق اللغوي والاستعمال ، وهذه سمة لغوية دقيقة تتفق والنظريات اللسانية الحديثة في علم المعنى،إضافة إلى الفوائد على مستوى الصرف والتصريف وضبط أبنية الأفعال وذكر مصادرها. ومثله أيضا ما جاء في موضع آخر:

وقال الأصمعي: يقال للحية الذكر أيّم وأيْم، مثقَل ومخفَف، نحو لَيّن ولَيْن، وهَيّن وهَيْن، قال الشاعر:

هَيْنونَ لَيْنونَ أيسارٌ ذَوو يَسَرٍ سُوَّاسُ مكرمةٍ أَبناءُ أيسارِ

ويقال: انبّست الحيّات: إذا تفرقت وكثرت، وذلك عن إقبال الصيف قال أبو النجم: وانبسَّ حيّاتُ الكثيبِ الأهْيَلِ

وقال الطرماح:

وَانْساب حيّاتُ الكثيب وأقبلت وُرْقُ الفَراش كما يَشُبّ الموقِدُ

قال: ويقال: جبأ عليه الأسْودُ من جحره ، إذا فاجأه، وهو يَجْبأ جَبْأ وجَبْواً [15].

وفي هذا النص أيضاً: نرى الفوائد اللغوية كثيرة ، وعلى مستويات مختلفة، مما يرقى بمستوى هذا الكتاب إلى أننا يمكن أن نعدّه من الكتب اللغوية التي لا يجوز إهمالها، أو الغفلة أو التغافل عنها وعن أمثالها عند الدراسات اللغوية المعجمية بشكل خاص، والعلمية الحيوانية، والاجتماعية، وغيرها بشكل عام. وربما وشّى الجاحظ كتابه بلفتات لغوية أخرى إضافية كتفسير آية كريمة وشرحها، أو حديث شريف أو مثل عربي قديم، أو بيت من الشعر أو مقطوعة منه، مما يزيد في قيمة الكتاب اللغوية والمعرفية على حد سواء.

وأختم الكلام على مادة هذه المَعْلَمة باقتباس آخر على مستوى الفروق والترادف، والاستخدام اللغوي ودلالته، وثروته الجمة، حين يقول في موضع آخر: "وزعم بعضهم أن السلخ للحية مثل البُزول والقروح للخُفّ والحافر. قال: وليس ينسلخ إلا بعد سنين كثيرة... وزعم بعضهم أن الحية تسلخ في كل عام مرتين، والسلخ في الحيات كالتحسير من الطير، وأن الطير لا تجتمع قوية إلا بعد التحسير وتمام نبات الريش" [16]. ومع هذه الفوائد الغزيرة اللغوية والمعرفية المختلفة التي احتواها كتاب الحيوان للجاحظ، **إلا أن منهجه لم يك منظما**، فهو يفرغ معلوماته في أبواب ليست

متسلسلة أو مترابطة، فيبدأ بالكلب، ثم بحيوان آخر، وثالث، ليس بينها صلة لفظية أو معنوية، وربما يستطرد ويخرج عن موضوع الحيوانات جملة إلى أبواب بعيدة تماماً، كما في آخر الجزء الرابع وأوائل السفر الخامس، فهو بعد أن تحدث في الحيات، ثم النعام والظليم، استطرد إلى الحديث عن النار والنيران وأنواعها في ما يزيد على ثلاثين صفحة في آخر الجزء الرابع (4/461-492). وأكمل حديثه عن النار في الجزء الخامس، فبدأه بذكر النار وأخبارها واستطرادات عجيبة واسعة، من الصفحة الخامسة حتى الصفحة 148، ثم تذكر نفسه، وإذا به يحاول أن يعتل ويعتذر لاستطراده بذكر النار في كتاب الحيوان فيقول: " قد ذكرنا جملة من القول في النار، وإن كان ذلك لا يدخل في باب القول في أصناف الحيوان، فقد يرجع إليها من وجوه كريمة نافعة الذكر باعثة على الفكر، وقد يعرض من القول ما عسى أن يكون أنفع لقارىء هذا الكتاب من باب القول في الفيل ... والقرد والخنزير، وفي الدب والذئب والضب والضبع... [17].

ويحاول أن يبين العلة في استطراده لما فيه من البعث على النشاط، لئلا يعترى القارىء الملل بعد الأبواب الطوال المتخصصة الدقيقة [18]. ثم يعود إلى ذكر بعض الحيوان، وبعد ثلاث صفحات فقط ينسى نفسه ويستطرد ثانية إلى حديث لا صلة له بالحيوان، وهو باب في مديح النصارى واليهود والمجوس والأنذال، ثم باب في السر، ثم في ذكر المُنى، وتستغرق هذه الاستطرادات ما يقرب من خمسين صفحة. وهكذا يستمر منهجه على هذا الحال. فهو منهج ليس دقيقاً أو قريب المأخذ من الناحية العملية أو العلمية الموضوعية، واللغوية المعجمية بشكل خاص، إلا أننا نستطيع الإفادة منه كثيراً، ولا نستطيع تجاهله – كما ذكرنا من قبل – وتكون الإفادة منه بأخذ الفوائد اللغوية – وما أكثرها-، وتنظيمها في عمل معجمي لغوي حسب خطة مدروسة موضوعة، تحقق لنا غرضنا من عملنا. ولعل نظرة في كتاب آخر اعتمد الطريقة الموسوعية نفسها التي انتهجها الجاحظ في كتابه، وان كانت بشكل أقل وأخف، لكن بمنهجية منظمة منطقية متسلسلة، فقد رتب موضوعاته ترتيبا هجائيا، ذلك الكتاب هو كتاب" **حياة الحيوان الكبرى**" للدميري الذي عاش ما بين (1341-1405م). فالكتاب من حيث المادة مَعْلَمة معرفية متنوعة شاملة عن الحيوانات، وأنواعها وأسمائها وأعضائها وخلقها، وصفاتها، وفوائدها، ومضارها، والأحكام الشرعية فيها، وتفسير رؤيتها في الأحلام والمنام، وما قيل فيها من أمثال أو أقوال، كل ذلك معتمدا فيه على المنقول، والملاحظات الشخصية والتجارب والمسموع. فهو في موضوعه صنو وشبيه لكتاب الجاحظ ، وإن كانت مادته أقل حجما، وأكثر تركيزا، ولكنه- ككتاب الجاحظ – ليس علميا دقيقا متخصصا. ولكنه يفضل كتاب الجاحظ من حيث المنهج، فمن الناحية الشكلية والمنهج الخارجي

في ترتيب الموضوعات، رتب الدميري الحيوانات التي تناولها حسب الحروف الهجائية لأوائل أسمائها، وكان دقيقا موفقا في ذلك ، فبدأ بالحيوانات المبدوءة أسماؤها بالهمزة تحت باب الهمزة ، وكان دقيقاً ملتزما حتى وصل إلى " الإوز" [19] : فذكر لفظه ونطقه – بكسر الهمزة وفتح الواو- ومعناه، وجمعه، واستطرد قليلا عن أبي نواس وشعره وكنيته في أقل من نصف صفحة، ثم عاد إلى الحديث عن وصف الإوز وبيضه وطباعه، ثم ساق خبرا عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مفاده انه خرج إلى صلاة الفجر يوما، فإذا إوز يصحن في وجهه ، فطردوهنّ، فقال : دعوهن فإنهن نوائح، فضربه ابن ملجم [20]. وعند هذا الخبر استطراد استطرادا واسعا غير مألوف، إذ استنفد في استطراده من الصفحة 43 إلى الصفحة 96 من القطع الطويل، وهذا الاستطراد خصصه للحديث عن أخبار خلفاء الأمة الإسلامية مبتدئا بالرسول صلى الله عليه وسلم، حتى خلافة المستكفي بالله سنة 845هـ. وكان غرضه من هذا الاستطراد أن يبين أن كل سادس قائم بأمر الأمة مخلوع [21]، وذكر أن هذه فائدة أجنبية، وأطال في استطراده، ثم عاد بعد ثلاث وخمسين صفحة، ليكمل حديثه عن الإوز، وفق منهجه الداخلي عند الحديث عن كل حيوان على حدة، فأكمل حديثه عن بيضه وصغاره، وحكم أكله وخواصه والاستطباب به، وهو منهج التزمه في حديثه عن الحيوانات التي تناولها. وعلاقة هذا الكتاب ببحثنا، أن مادته تدل على أنه من المعاجم المتخصصة التي تناولت لونا واحدا من ألوان المعارف، وجمعت من الثروة اللغوية المعجمية والدلالية الكثير، ونعدّه من الكتب المعجمية الموسوعية، لكثرة المعلومات والاستطرادات عن كل حيوان، فهو مَعْلَمة معرفية عن الحيوانات وما يتصل بها.ولعل قيمته اللغوية تنبع من جمعه مصطلحات لغوية كثيرة لأسماء الحيوان وأعضائه وعاداته وطباعه وغير ذلك، علاوة على ضبط اسمه وبنيته وحركاته وجمعه وتأنيثه وتذكيره، واللغات الواردة فيه ومرادفاته، مثال ذلك ما قال في (الأسد):" الأسد: من السباع معروف، وجمعه أسود وأسد وآسُد وآساد، والأنثى أسَدة ...، وله أسماء كثيرة، قال ابن خالويه: للأسد خمسمئة اسم وصفة، وزاد علي بن قاسم بن جعفر اللغوي مئة وثلاثين اسما، فمن أشهرها: أسامة والبيهس والنآج والحارث وحيدرة والدواس والرئبال وزفر والسبع والصعب والضرغام والضيغم والطيثار والعنبس والغضنفر والفرافصة والقسورة وكهمس والليث والمتأنس والمتهيب والهرماس والورد، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ومن كناه: أبو الأبطال، وأبو حفص، وأبو الأخياف، وأبو الزعفران، وأبو شبل، وأبو العباس، وأبو الحارث... وإذا أكل نهس من غير مضغ". [22] ثم ألحق ذلك بمعلومات ومعارف عن الأسد وأنثاه وطباعهما وصغارهما وبطشهما، وعادات الأسد وصفاته، وما قيل فيه، وحكم

أكله، وخواصه، وما ورد فيه من قرآن أو حديث أو شعر وطرائف أو نوادر. فالكتاب بهذا المنهج وهذه المعلومات موسوعي لم يقتصر على المسائل اللغوية الدلالية المعجمية. وفي موضع آخر يتحدث عن (الإبل)، بقوله: " الإبل بكسر الباء الموحدة، وقد تسكن للتخفيف: الجمال، وهو اسم يقع على الجمع وليس بجمع، ولا اسم جمع، إنما هو دال على الجنس، كذا قاله ابن سيده. وقال الجوهري: ليس لها واحد من لفظها، وهي مؤنثة لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم، وإذا صغرتها أدخلت عليها الهاء فقلت: أبيلة وغنيمة، ونحو ذلك. وربما قالوا للإبل إبل بإسكان الباء كما تقدم، والجمع آبال، والنسبة إبلي بفتح الباء وفي حديث وهب (تأبل آدم على ابنه المقتول كذا وكذا عاما لم يصب حواء، أي امتنع من غشيانها أعواما وتوحش عنها). ويقال للإبل: بنات الليل، ويقال للذكر والأنثى منها بعير إذا أجذع، ويجمع على أبعرة وبعران، والشارف: الناقة المسنة، وجمعها شرف، والعوامل الإبل ذوات السنامين " [23]. فنرى في هذا الاقتباس- وجل ما في الكتاب مثله- فوائد لغوية جليلة على غير مستوى، والفائدة الدلالية المعجمية واضحة جلية. ويستمر الدميري بالحديث عن طباع الإبل وخصائصها، وما جاء فيها من قرآن أو حديث أو أقوال مشهورة، وحكايات لطيفة طريفة، ويذكر صفاتها وأنواعها وكناها، وحكم أكلها وخواص لحمها، والاستطباب بها وبكل أجزاء جسمها، ثم تعبير الأحلام ورؤية الإبل في المنام. ويستمر المؤلف هكذا في منهج مطرد حتى نهاية الجزء الأول، وهكذا دواليك يتناول أسماء الحيوانات بالتعرف بها وفق منهج متسق مطرد، ذي صبغة معرفية موسوعية، ولغوية معجمية ضافية[24].

ب- وأما الصنف الآخر من تلك الكتب والرسائل (المعاجم القديمة المتخصصة) التي اعتمدت طريقة الاقتصار على إيراد المصطلح(اللفظ) ودلالته ومفهومه عند العرب، فسنعرض لعدد منها بالوصف والتحليل في الصفحات القليلة اللاحقة.

ونبدأ بعرض موجز لكتاب" الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) الذي حققه الزميل الأستاذ محمد المختار العبيدي، فهذا الكتاب مَعْلَمة لغوية معجمية قيمة، ولعل أهميته تعود إلى قدمه، فمصنفه من الرعيل الأول المعاصرين للشيباني والأصمعي وغيرهما، ولأنه" جمع في طياته كتبا مختلفة من الرسائل المفردة، والكتب المتخصصة السابقة، فنجد فيه أصداء لكتب المعرّب والحيوان، والخيل، وخلق الإنسان والنوادر، ولما تميز به من مواصفات معجمية وتقنية متصلة بمراحل تطور المعجم العربي" [25].

إضافة إلى أنه احتوى مواضيع وأبوابا شتى من المعارف اللغوية، وهي متعلقة بقضايا الجمع والوضع والتعريف والاستشهاد بالشعر والقرآن والحديث، مما سيزودنا بمعلومات مفيدة نستكمل منها مواصفات المعجم العربي من حيث محتواها وفنياته،علاوة على الحاجة إلى مفرداته في وضع المصطلحات الحديثة"[26]. وأرى أن ما قدمه د. الحمزاوي- وهو خبير بهذا المجال- للكتاب لم يبق استزاده لمستزيد، يود التحدث بإيجاز عن خصائص الكتاب ومادته ومنهجه وأثره وفائدته بين المعاجم المتخصصة القديمة، وما يمكن أن يقدمه في وضع معاجم عربية حديثة متخصصة. ولكنني أضيف- موضحا- أن **الكتاب جمع أبوابا ورسائل لغوية شتى**، يصلح كل منها رسالة لغوية متخصصة مستقلة، **وعني بالشرح والتفسير، واهتم بالمعاني السياقية، واستنباط الدلالات من الشواهد، وإيراد اللغات المختلفة، والمرادفات، وبعزو تلك الروايات إلى أصحابها من العلماء والرواة الموثوقين**. وقد وزع المؤلف أبواب كتابه على كتب متعددة ومختلفة، حوى الجزء الأول منها: كتاب الإنسان[27] ثم كتاب النساء، فكتاب الأطعمة، فكتاب الخمر، فكتاب الدُّور والأرضين، فكتاب الخيل، فكتاب السلاح، فكتاب الطيور والهوام، ثم كتاب الأواني من القدور وغيرها. وختم هذا الجزء بكتاب الجبال.

فهذه المَعْلَمة إذن تضم كتبا عديدة على غرار الرسائل والكتب اللغوية المنسوبة للأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما[28]. وقد يكون من الطريف والمفيد أن ننقل معلومة لغوية عن عضّ الحية، وما يقال فيها من كتاب " الغريب المصنف"، علماً بأنه تقدم في موضع سابق من هذا البحث اقتباس ونقل لمصطلحات عن الموضوع نفسه من كتاب " الحيوان" للجاحظ.

يقول أبو عبيد: " ويقال للحية عضَّت تَعَضّ، وخَدَبت تخدِب، ونهشت ونهست. وقال أبو الجراح مثله. قال: ويقال للدسّاسة وحدها: نكزته، ولا يقال لغيرها. أبو زيد النكز بالأنف، ومنه يقال: نكزته الحية، وأنكزته، وهي الدسّاسة، فإذا عضته بنابها قيل: نشطته تنشِطه نَشْطاً. وقال عروة بن مرة الهذلي:

..... ورَمْيِ نِبالٍ مثلِ وَكْعِ الأساوِدِ [29].

ومن الكتب التي سارت على طريقة الاقتصار على إيراد اللفظ أوالمصطلح ومعناه مباشرة، جميع الكتب والرسائل الـ لغوية الكثيرة، ومنها كتاب " الخيل" لأبي عبيدة، الذي أورد مـصطلحات مهمـة ودقيقة، نحن في حاجة إليها لا ستخدامها في التعبير عن المفاهيم المختلفة عن الخيل وما يتعلق بها في العلوم الحديثة- كعلم الأحياء (الحيوان) والبيطرة وغيرهما.

وجاء فيه، " قال أبو عبيدة: ..... وفي عينيه حدقتاهما وإنساناهما وناظراهما وذباباهما ومآقيهما وجفونهما وحِتارهما وأشفارهما" [30].

وفي كلامه على الأذنين يقول : " فأما أذناه: وهما قُذَّاه وسامعتاه، فانتصبتا على سائر خلقه، وأما ذباباهما فما حد من أطراف الأذنين، وأما عيراهما فمتناهما، وأما صماخهما فمدخل السمع في الدماغ من باطن . ومن آذان الخيل : مؤللة ومُرْهَفة ومُؤَسّلة وكَزْماء ودَفْواء وخَدْواء وحَجْناء وخَثْماء وغَضْفاءَ وفَرْكاء وصَمْعاء وسَكّاءَ وقَنْفاء[31].

فتأمل هذه المصطلحات الدقيقة التي يفترق كل منها عن الآخر، فكل منها عضو أو صفة مختلفة، ثم يعقب أبو عبيدة بشرح هذه المصطلحات و الألفاظ، ويفسرها. ويضيف أوصافا أخرى لآذان الخيل، فيقول ومنها : "مُهَوْبِرة، وَزَبّاء ووَطْفاء، وحَصيصة، والشَّرقاء، وشِفاريَّة، ومُرْهَفة، وغَضَنْفرة، وحَشَرَة [32].

ويستمر أبو عبيدة على هذا المنهج بتسجيل المصطلحات العربية الأصيلة أو المعربة التي أطلقت على أعضاء الخيل وصفاتها وأسمائها وألوانها، ومشيها وجريها وقيامها وعيوبها ونشاطها وصهيلها، ويختتم الكتاب بتسجيل أشعار قالتها العرب في الخيل.

وأقول: ما أحوجنا اليوم إلى إعادة بعث هذه المصطلحات واستخدامها من جديد، لتسعفنا في التعبير بدقة عن مفاهيم مختلفة تتعلق بالخيل، تتميز بفروق دقيقة أو كثيرة.

ويطلق أبو عبيدة مصطلحات في غاية الدقة ويفسرها حول عين الخيل – مثلا – أو رأسه، أو مَتْنه، أو ذَنَبه....، ومما يثير العجب أننا نعرف الحافر مثلاً، ولا يكاد المتخصص منا يعرف أي مصطلح عربي لأجزاء الحافر، في حين نرى أبا عبيدة يورد المصطلحات الآتية الدالة على أجزاء الحافر، فيقول : " وفي الحافر:الإطار، والدخيس، والضفدع، والأَخلق، والسُّنْبك، والأَمْوَر، والسليم، والصَّحن، والفَتور، والنَّسور، والمنقل، والحوامي، والفجوة،والنَّعر، والدوابر، والأَلية"[33].

ثم يتناول كل مصطلح بالتعريف والشرح، وقد يعزز شرحه بشاهد شعري أو أكثر يدل على المعنى والمفهوم.

فتصور هذا التعمق وهذه الدقة، إذ يورد ستة عشر مصطلحا تدل على أجزاء مختلفة للحافر فقط.

ومثل ما في كتاب " الخيل" لأبي عبيدة، نجده في كل الرسائل المشابهة الأخرى: ككتاب وصف السحاب والمطر، والنحل، والنبات، واللبن، والشاء، والإبل، والحشرات، والطير، والوحوش،

والنخل والشجر، والدرع....، وغيرها من ألوان المعارف وأبوابها، وقد سارت هذه الكتب على منهج مماثل – تقريبا – لمنهج كتاب "الخيل" لأبي عبيدة.

وهذه المصطلحات الدقيقة، التي نجهل أكثرها الآن، عظيمة النفع للمتخصصين مثلا، كل في مجال تخصصه، فبدلا من الحيرة عند التعبير عن مفهوم أو مسألة تتعلق به، مما يجعل المتخصص يستخدم مصطلحا أعجميا إفرنجيا ، أو يبحث عن مقابل للمصطلح الأعجمي أو يترجمه، فإنه واجد آنذاك ثروة لغوية عربية أصيلة تسعفه عند الحاجة.

ولعل ما يمثل هذه الرسائل والكتب اللغوية أيضا كتاب" البئر" لابن الأعرابي، إذ ذكر أسماء البئر المختلفة، بعضها مرادف للآخر، وبعضها يحمل فروقا دقيقة عن الآخر، وصفات البئر المختلفة، ثم المصطلحات التي تطلق على البئر حسب حاله، فيقول – مثلا: " إذا استقي منها- البئر- بالدلو قيل بئر متوح، وإذا كانت على بكرة تنزع باليد نزعا، قيل بئر نزوع، ونشوط إذا كان حبلها نشطة واحدة [34].

وثنى بالمصطلحات الخاصة بصفات الماء المستخرج منه، وتلك الخاصة بقاعه، وما يوجد في قاعه وأرجائه، والدلاء وحبالها، والبكرة على حافة البئر، وحفر البئر ومائه، وغير ذلك.

ومن المفيد أن نشير إلى كتاب " الأنواء" لابن قتيبة، وما فيه من مصطلحات وألفاظ شرحها المؤلف، وأورد اللغات المتعددة في بعضها، وذكر النجوم وصفاتها وسقوطها، ومنازل القمر والنجوم والكواكب، فمعرفتنا للمصطلحات العربية الخاصة بتلك النجوم والمنازل والأنواء تُريحنا من استخدام مصطلحات أجنبية أحيانا، من ذلك مثلا: الجدا، والبطين والعيوق وغير ذلك[35].

وقد اهتم بذكر الرياح وأسمائها وتحديد مهابها، وذكر السحاب والمطر والبرق، والاهتداء بالنجوم [36].

ولعل من المهم أن أشير إلى صنيع محققي الكتاب وناشره، وهي الطبعة الصادرة في حيدر أباد الدكن، وأن أشيد بإضافته مسردا (فهرسا) خاصا بأسماء النجوم والكواكب والأنواء الواردة في الكتاب هذا، ومقابلها المصطلح بالإفرنجية اللاتينية [37]. وهو مسرد ذو قيمة عظيمة في ما نحن بصدده، وهو الاهتمام بوضع معاجم عربية متخصصة حديثة، أو معاجم مصطلحات، وإن كان هذا العمل يعد من المعجمة الثنائية اللغة، وهو ذو فائدة كبيرة على مستوى تعريب المصطلحات للمتخصصين بالعلوم والمعارف المختلفة.

إضافة إلى أن كتاب " الأناء" قد ضم عدداً وفيراً من الشواهد اللغوية الشعرية بلغت 355 بيتاً من الشعر والرجز. وقد حفظت لنا المكتبة العربية قائمة بأسماء العلماء اللغويين الذين ألفوا كتباً

ورسائل أطلقوا عليها اسم " كتاب الأنواء"، وعددهم يزيد على عشرين، جمعها محققو الكتاب ومصححوه. (38)

ومن الرسائل اللغوية التي تناولت المصطلحات التي أطلقت على أحد الحيوانات " الشاء" للأصمعي، ويقول فيه محققه: " وهو من الكتب المهمة في هذا الميدان، لأنه الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا (في هذا الجانب المعرفي)، وقد استقل بمعالجة الألفاظ التي تنعت بها الغنم في أحوالها المختلفة"(39).

والمنهج العام الذي نهجه الأصمعي هو " عرض المادة بذكر صفة الشاة، ثم تردف باللفظة التي تنعت بها تلك الصفة. وقد يذكر نعوتاً متدرجة حسب تدرج الشاة في حالة ما، وكان يوثق المصطلحات والألفاظ ودلالاتها **بشواهد من الشعر، أو أقوال العرب أو أمثالهم**" (40) .

وأود أن أختم هذا العرض الموجز لبعض المعاجم القديمة المتخصّصة، بالحديث عن كتاب له سمة خاصة متقدمة في منهجه وترتيبه، ذلك هو كتاب " النبات" لأبي حنيفة الدَّيْنَوَرِي، فبعد أن قدم المصنف ذكر أبواب مختلفة لها علاقة بالنبات والأرض والصفات العامة، وهو ما استحسن ذكره قبل ذكر النبات، يقول (41):

" فلم يبق إلا ذكر أعيان النبات، ونحن آخذون في تسميتها ومحلو كل واحد منها بما انتهى إلينا من صفته أو شاهدناه.

..... ونرى أن **نجعل تصنيف ما نذكر منها على أوائل حروف أسمائها**، وإن اختلط جل الشجر بدقة، واختلط أيضاً الشجر بالأعشاب وبقلها وجنبتها، وغير ذلك من أصنافها التي قد جنّسناها فيما سلف وصنّفناها، لأن وصفنا إياها نبتاً سيلحق كل واحد منها بجنسه عند من فهم عنا ما قدمناه وما أخرنا، ونجعل تصنيف ذلك على توالي حروف المعجم كما تواليها العامة إن شاء الله، **وتصنيفها على حروف أوائلها أحب إلي من تصنيفها على حروف أواخرها، وإنما آثرنا هذا التصنيف لأنه أقرب إلى وجدان المطلوب**، وأهون مؤونة على الطالب من كل تصنيف سواه". إذن، هكذا اختار أبو حنيفة الدينوري منهج ترتيب مواد كتابه، وهو ترتيب – كما ذكر هو نفسه – أسهل على الطالب الباحث، وفضل طريقة الترتيب الهجائي لأسماء النباتات حسب أوائلها ، فضلها على طريقة الترتيب الهجائي للقوافي (أواخر الكلم) ، وقد حوى كتابه ثروة عظيمة من المصطلحات الخاصة بالنبات وصفاته وأحواله ، وما يتعلق بالنباتات المعروفة في زمنه ، تجعل الاهتمام بهذا المصنف أمرا لا بد منه.

ولابد من الإشارة – من باب الوفاء للبحث – إلى أنواع أخرى مختلفة متعددة من كتب المعاجم المتخصصة القديمة المفيدة في ما نحن بصدده، منها:

كتب النوادر في اللغة ، وكتب الأضداد ، وكتابا الأفعال لابن القوطية وابن القطاع ، وكتب الإبدال ، وكتاب الألفاظ الكتابية، والمعرّب ، وشمس العلوم لنشوان الحميري، ومعجم البلدان ، ومعجم الأدباء ، وغيرها. وفقه اللغة للثعالبي، ومتخير الألفاظ لابن فارس، والمخصص لابن سيده وغيره من معاجم المعاني . إضافة إلى كتب المصطلحات الخاصة بفن أو علم أو مجال معين، وأي كتاب يجمع ألفاظ حقل معين من حقول المعرفة المختلفة ، ويشرح تلك الألفاظ ويرتبها [42]، وهي الكتب التي تعرف بكتب الموضوع الواحد ، أو الموضوعات والمعاني والصفات. وقد قامت هذه الكتب على ما يعرف الآن في الدراسات اللسانية الحديثة بمفهوم الحقل المعجمي،الذي يقوم على أساس جمع عدد كبير من المفردات عن شيء أو حقل واحد في دوائر دلالية ومعجمية متقاربة.

(3)

نخلص من هذا العرض إلى نتائج مهمة خطيرة ، حول أثر المعاجم المتخصصة القديمة وشأنها في وضع المعاجم المتخصصة الحديثة ، منها : **أن مادتها ثرّة غزيرة ، تناولت جوانب المعرفة والعلوم المختلفة** ، صحيح أنها ليست كافية للتعبير عن التقدم المعرفي الهائل في العصر الحديث عصر التقنية والسرعة والآلة، إلا أنها تحوي كنوزاً دفينة، ينبغي سرعة الكشف عنها ، ونفض غبار الزمن عنها، وبعثها واستخدامها من جديد، وتفيدنا بتزويدنا بثروة من المصطلحات الخاصة بموضوعها ، **وتتسم تلك المصطلحات والألفاظ العربية القديمة بالدقة وسلامة الجرس وعدم تنافر أصواتها أو ثقلها** كالمصطلحات الأعجمية أو المعربة ، وكما حفظت لنا تلك المعاجم والرسائل القديمة **ثروة من المترادفات، والمتقاربات في المعنى، والمتسلسلة المتدرجة في التعبير عن المفاهيم والمعاني المتدرجة المتسلسلة** كالألفاظ والمصطلحات الدالة على الأمراض – مثلاً – في كتاب " الغريب المصنف" [43].

وكما في أسماء السحاب وأوصافه وحالاته المختلفة ، بقوله سحابة حَمّاء عقّاقة [44].

وفي درجات المطر وأوصافه وأسمائه بحسب حالاته المختلفة أيضا ، كقوله : " مطرٌ ،أرَكّ ، ودثّ، وبَغَش، وقطقط ، ودَيّم ، وأغمَط ، وأثجم ، ووبْل ، وأنعم ، وقمس الربى، وأفرط، الزبى" [45]. وهذا ترتيب لدرجات المطر ترتيباً تصاعدياً ، فبدأ بالخفيف وهو الرك أو المطر الضعيف – ثم الأغزر فالذي يفوقه.

ولعل ما يوضح أثر المعجم القديم المتخصص في وضع المعجم العربي المعاصر المتخصص أن نذكر بمفهوم المعجم المختص بشكل عام، فهو معجم يتناول مصطلحات **فرع واحد معين من فروع المعرفة** المختلفة وألفاظها بالشرح والتفسير، **ويرتبها ترتيباً يسهل على الباحث الإفادة منه.** وأنواع هذا المعجم إما أن يكون أحادي اللغة أو ثنائيها أو متعددها ، كبقية المعاجم اللغوية العامة. كما قد يكون هذا المعجم المتخصص وصفياً أو معيارياً أو تاريخياً ، أو تأثيلياً أو مهنياً حرفياً ، ولا أرى كونه معجماً متخصصاً لفرع واحد من فروع المعرفة مانعاً من أن يتنوع ويؤدي غرضاً آخر كالتأريخ للألفاظ أو الوصف، أو التأثيل مثلاً.

ومن المهم عند وضع المعجم المتخصص المعاصر العودة إلى المعاجم القديمة المتخصصة (كتب الموضوعات ورسائلها) ، والمعاجم العامة بنوعيها : معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني ، وكتب العلوم المختلفة القديمة والحديثة ، وكتب المصطلحات.

وبما أنها مخصصة لمصطلحات فرع معين من فروع العلم أو المعرفة ، واعترافاً بأهمية المصطلحات فيها، فلا بد من الإحاطة بالنظريات المصطلحية ، وشروط وضع المصطلح كالإحاطة بالنظريات اللسانية ، وعلم الألفاظ وعلم تطور دلالاتها، وعلم المنطق ، وعلم المعرفة ، والتصنيف وعلم الحوسبه [46] ، وعلوم التخصص المختلفة ، حسب نوع المعجم المتخصص الذي نحن بصدد وضعه.

ما تقدم يوضح - بشكل عام- أغراض المعجم المعاصر المتخصص وأنواعه وشروطه وشروط وضعه، فماذا عسى أن يقدم المعجم العربي القديم المتخصص من نفع في هذا المجال؟

أرى أن فوائد المعاجم القديمة المتخصص يمكن حصرها – أو حصر أكثرها – في ما يلي:

1- تقفنا على الذهنية الحضارية للأمة في عصورها السالفة ، ومقدار ما حققت من تقدم في مجالات المعرفة المختلفة ، كما يمكننا من معرفة مدى التأثير و التأثر بين المسلمين وغيرهم من أبناء الحضارات الأخرى السابقة ،و ما تم من إقراض أو اقتراض لغوي أو معرفي .

2- تفيدنا في معرفة اثر تلك المعاجم المتخصصة في المعاجم العامة القديمة ، معاجم الألفاظ أو معاجم المعاني ، لأنها كانت تمثل مرحلة مبكرة متقدمة من المعاجم العامة ، وفي الوقت ذاته تفيدنا في وضع معاجم عامة منشورة كاملة معاصرة ، إن تاريخية أو تأثيلية وإن تخصصية.

3- تفيدنا في تأريخ العلوم المختلفة ودراسة تطوّرها.

4- تفيدنا في مجال الترجمة اللغوية، وتفيد اللغوي والمعجمي بما فيها من ثروة لغوية غزيرة على المستويات المختلفة، كما تفيد المتخصص في العلوم المختلفة، والمتخصص في تاريخ العلوم، والدراسات الاجتماعية التاريخية ، والإنسانية والحضارية.

5- تفيدنا في الحصول على ثروة غزيرة من الألفاظ المتقاربة المعنى ، والمتواردة الدلالة والمعاني ، كالأضداد في اللغة، وعلى المترادفات، وتقفنا على الفروق بينها ، مهما كانت دقيقة ، إذ " تعد العربية من أغنى اللغات بالمترادفات ،..... ومن نافلة القول أن تكون المترادفات مزية في الكتابة الأدبية، .... ولكن المترادفات تعد نعمة ونقمة في آن واحد....، فهي نعمة إذا استعملت للتفريق بين المفاهيم المتقاربة ، وهي نقمة إذا وضع عدد منها مقابلاً للمفهوم التقني الواحد ، إذ إن ذلك سيؤدي إلى اختلاف الاستعمال وتعدده" [47] ، ويؤدي ذلك إلى ازدواجية المصطلح وتعدده ، في حين أننا في أمس الحاجة العلمية والعملية إلى توحيده ونشره وجعله شائعاً موحداً.

6- وأخيراً ، فإن فائدة المعجم العربي القديم المتخصص في مجال المصطلحات فائدة واسعة متعددة ، فهو لأهميته في المصطلحات أطلق عليه – وعلى المعجم المختص بشكل عام – بعض الباحثين اسم معجم المصطلحات[48] ، فهو يفيد في إغناء المصطلحات وتنميتها وتفصيحها وتحقيق شروطها. والمبادىء التي لخصها الدكتور القاسمي في كتابه " مقدمة في علم المصطلح " [49] يساعد في تطبيق تقييس المصطلحات ، واختيار الدقيق منها في دلالته ، وإيجازه، ومطأوعته الاشتقاق، وخفة جرسه وعدم تنافر أصواته، وفصاحته ، وعدم تداخل المصطلحات أو تداخل دلالاتها، والتقليل ما أمكن من التعريب أو الدخيل والأعجمي .

كما يساعدنا المعجم القديم المتخصص في تحقيق وسائل وضع المصطلحات التي ذكرها المعنيون بعد تحقيق المصدر الأول منها، وهو الأخذ من التراث اللغوي العربي والانتفاع بكتبه ومصطلحاته ، فهو يفيد في الاشتقاق والنحت والمجاز ، وهي – إضافة إلى التراث العربي والترجمة- ، الوسائل التي ذكرها المصطلحيون والتي تتبعها العربية في توليد المصطلحات[50].

وتفيد المعاجم العربية القديمة المتخصصة أيضاً في تصحيح بعض الأغلاط في إطلاق مصطلحات حديثة ، وفي استخدامها في موضوعها ، فمثلاً ؛ يقول المتخصصون والمثقفون : "فلان أصيب بحصر بول، إذا احتبس بوله" ، وهذا في العربية خطأ، إذ الصواب كما جاء على لسان أبي عبيدة في (الغريب المصنف) : فإذا احتبست عليه الحاجة قيل أخذه الحُصر، فإذا احتبس بوله، قيل: أخذه

الأُسر. الأصمعي واليزيدي: الحُصر من الغائط ، والأُسر من البول. الكسائي، حصر غائطه وأحصر، وأسر بوله أسراً" [51].

وتفيد المعاجم المتخصصة القديمة مثيلاتها المعاصرة في تقديم مادة وفيرة، وألفاظ لغوية ومصطلحات غزيرة لا يستغنى عنها، كما تقدم شواهد وسياقات لغوية ، إضافة إلى أنها تمثل " ذاكرة تاريخية غنية وعجيبة؛ لما توفر فيها من الاستعمالات والتراكيب والمفردات المختصة التي نسيناها، حتى كدنا نعتبرها مفقودة في العربية ، وهي موجودة تؤدي ما نعجز في الإبان عن التعبير عنه لتأدية بعض المفاهيم الحديثة" [52] ، كما قال د. الحمزاوي في كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام.

أولاً : مسرد حواشي البحث.

1- د. ابراهيم مدكور/ المعجمات العربية المتخصصة (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 34 ، سنة 1974 ، ص16).
2- أبو الطيب اللغوي/ مراتب النحويين ص 71.
3- د. رياض زكي قاسم / المعجم العربي بحوث في المادة والمنهج والتطبيق – ص187.
4- النديم / الفهرست 130 والزركلي / الأعلام 72/3.
5- د. علي القاسمي / علم اللغة وصناعة المعجم ص 46.
6- د. رياض زكي قاسم / المعجم العربي – بحوث في المادة والمنهج والتطبيق- ص31، وأطلق عليها معجم مصطلحات (21،31)،176-194 . ويسرى عبد الغني عبد الله / معجم المعاجم العربية ص12.
7- يسرى عبد الغني عبد الله ص 55-85.
8- نفسه ص61.
9- د. أمين محمد فاخر/ دراسات في المعاجم العربية ص7.
10- نفسه ص 7.
11- إبراهيم مدكور / ص20.

12- الجاحظ / الحيوان ، باب القول في الحيات -مثلاً- جـ4/107-309 ، إضافة إلى معلومات أخرى عن الباب نفسه، قد يوردها في مواضع متفرقة. ومن ينظر في الجزء السابع من هذا الكتاب في قسم الفهارس يتثبت من هذا الأمر.

13- الجاحظ / الحيوان 248/4.

14- نفسه 252/4-253 .

15- نفسه 254/4-256.

16- نفسه 268/4 وانظر الفوائد العظيمة الأخرى على مستوى الفروق اللغوية ، والدقة والمقاربة في الدلالة ما ذكره في استطراده 339/4-344 ، وهو -وغيره- ممّا لا يستغني عنه معجميّ أو لغويّ أو متخصص في مجال العلم الذّي يتّصل به إضافة إلى الدلالات والمعاني الحقيقّية والمجازيّة كما في 335/4-337 وغيرها كثير.

17- نفسه 148/5-149.

18- نفسه 153/5-154.

19- الدميري /حياة الحيوان الكبرى 43/1.

20- نفسه 43/1.

21- نفسه 44/1.

22- نفسه 3/1 . (ونهس ونهش) بالمهملة والمعجمة ، لغتان بالمعنى نفسه. وعن الجوهري: نهس اللحم : أخذه بمقدم الأسنان، والنهش: الأخذ بجميعها.(اللسان/نهس) وعن الليث: النهش دون النهس.(اللسان / نهش).

23- نفسه 13/1-14.

24- كانت المعلومات التي يذكرها الدميري عن الحيوان الذي هو موضع الحديث تتفاوت إسهابا أو إيجازا ، كثرة أو قلة ، فقد يملأ صفحات في الحديث عن حيوان مألوف كالجمل أو الأسد ، أو الجراد أو الحمام أو الدجاج، ولا يزيد على جملة أو عدة كلمات عند حديثه عن حيوان آخر غير مألوف ، كجمل الماء وهو البجع، أو جمل اليهود وهو الحرباء (185/1) ، والحبتر وهو الثعلب ، والحارية وهو نوع من الأفعى (205/1)، والدلم وهو نوع من القراد ، ولم أجد هذا المعنى في لسان العرب. والدم – بكسر الدال- السنور (307/1). وفي اللسان بفتح الدال وتشديد الميم.(اللسان

/ دمى)، وقال: حكاه النضر في كتاب الوحوش. ولعل ذلك يعود إلى وفرة معلومات المؤلف عن حيوان، وقلتها عن آخر. وقد يورد فوائد لغوية معجمية بطريقة مباشرة بإيراد المصطلح ودلالته ، كقوله: الشكال في الخيل : أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض وفي يده اليسرى بياض، أو في يده اليمنى ورجله اليسرى كذا.... وقال أبو عبيدة : هو أن يكون منه ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة.... (1/380-381) وقوله أيضاً : الناصية الشعر المسترسل على الجبهة (1/380).

25- د. محمد رشاد الحمزاوي (تقديم كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ص5-6.

26- نفسه / المرجع نفسه ص6-7.

27- لم يطلق هذا العنوان في بداية الكتاب ليتصدر جملة الأبواب الخاصة بالإنسان التالية، التي غطت قسماً كبيراً امتد من صفحة 29 إلى 135 ، ويحسن أن يضاف هذا العنوان بين حاصرتين، محافظة على اتساق منهج الكتاب وعنواناته.

28- من الوفاء والإنصاف القول إن المحقق الزميل الأستاذ محمد المختار العبيدي، قد بلغ مستوى مشكوراً في تحقيقه، فقد خدمه خدمة علمية جليلة، إضافة إلى دقته وضبطه وحواشيه وتعليقاته. فجزاه الله خير الجزاء، آملين أن نرى بقية الكتاب منشوراً على هذا النسق إن شاء الله قريباً.

29- أبو عبيد : الغريب المصنف 1/232-233.

وقد أورد ابن المنظور هذا الشاهد كاملاً تحت مادة (وكع)، وقال: "وكعته العقرب: لدغته وكوته.....، وقد يكون للأسود من الحيات .....". (اللسان/ وكع).

30- أبو عبيدة/ كتاب الخيل ص 14.

31- نفسه ص 15.

32- نفسه ص 16.

33- نفسه ص 27.

34- ابن الأعرابي / كتاب البئر ، ص59.

35- ابن قتيبة " كتاب الأنواء ص(8،20،34) ومواضيع كثيرة أخرى.

36- نفسه ص 158 ،169 ، 186 وما بعدها.

37- نفسه ص 211 – 235.

38- كتاب الأنواء / مقدمة المصححين والمحققين (ص/يج-يح)
39- الأصمعي/ كتاب الشاء (مقدمة المحقق – ص5).
40- نفسه ص 26.
41- أبو حنيفة الدينوري / كتاب النبات ص397.
42- يسرى عبد الغني / معجم المعاجم العربية ص 55-85.
43- أبو عبيد/ الغريب المصنف (كتاب الأمراض) 229/1 وما بعدها.
44- أبن دريد / كتاب وصف المطر والسحاب ص 6 – 7 ،19 وغيرها.
45- نفسه ص 16-17.
46- د. علي القاسمي / مقدمة في علم المصطلح ص(6 ،18-20).
47- نفسه ص 76-77 .
48- د. رياض زكي قاسم / المعجم العربي- بحوث في المادة والمنهج والتطبيق – ص31.
49- د. علي القاسمي / مقدمة في علم المصطلح ص 107-111.
50- نفسه ص 151 ، 87-89.
51- أبو عبيد / الغريب المصنف 346/1، وابن منظور / اللسان (أسر).
52- د. محمد رشاد الحمزاوي / التقديم لكتاب الغريب المصنف) ص7.

ثانياً : مسرد مصادر البحث ومراجعه

- د. إبراهيم مدكور : (بحث) المعجمات العربية المتخصصة- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 34 . 1991م.
- ابن الأعرابي : كتاب البئر، تحقيق د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة بالقاهرة ، 1970.
- ابن دريد : كتاب وصف المطر والسحاب، تحقيق عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق،1963م.
- ابن قتيبة الدينوري : كتاب الأنواء ، ط1 ، حيدر آباد الدكن ، الهند، 1956م.
- ابن منظور : لسان العرب ، طبعة دار المعارف بمصر.
- أبو حنيفة الدينوري : كتاب النبات ، (جـ3،جـ5) تحقيق برنهارد لفين،دار القلم- بيروت،1974.

- أبو الطيب اللغوي : مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر بالفجالة – القاهرة ، ط2 ، 1974م.
- أبو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف ، جـ1، تحقيق محمد المختار العبيدي، بيت الحكمة – قرطاج ، تونس ط1 ،1989م.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى : كتاب الخيل، مطبعة حيدر آباد الدكن، الهند ط2 ، 1981م.
- الأصمعي : كتاب الشاء، تحقيق د. صبحي التميمي، بيروت،ط1 1987م.
- د. أمين محمد فاخر : دراسات في المعاجم العربية، ط1 ، مطبعة حسان بالقاهرة،1984م.
- الجاحظ : كتاب الحيوان ،(جـ4 ،5) تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط3 ، 1969م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- الدميري حياة الحيوان الكبرى ، جـ1 ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، بيروت.د.ت.
- د. رياض زكي قاسم : المعجم العربي- بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، دار المعرفة – بيروت ،ط1 ،1987م.
- الزركلي : الأعلام، ط3 ، بيروت 1969م.
- د. علي القاسمي : علم اللغة وصناعة المعجم، نشر جامعة الملك سعود بالرياض، السعودية ، ط2 ، 1991م.
: مقدمة في علم المصطلح ، نشر دائرة الشؤون الثقافية والنشر بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة،1985م.
- د. محمد رشاد الحمزاوي : (تقديم لكتاب الغريب المصنف،لأبي عبيد القاسم بن سلام)،جـ1 ، تحقيق محمد المختار العبيدي، بيت الحكمة- قرطاج، تونس، ط1 ،1989م.
- النديم : الفهرست، دار المعرفة- بيروت، 1978م.
- يسرى عبد الغني عبد الله : معجم المعاجم العربية، دار الجيل – بيروت، ط1 ، 1991م.